الفصل الرابع

المستشرقون والإسلام

obeikandl.com

obeikandl.com

نتعرض لموقف المستشرقين من الإسلام وهو موقف مستمد من فهم مغلوط للدين قائم على تفسيرات الرهبان وهي تفسيرات تحول دون فهم الدين الإسلامي بشكل صحيح.

مفاهيم الغرب عن الإسلام أخذت من

1. كتابات الرحالة والمغامرون وما فيها من خيال واصطناع.
2. أقوال المستكشفين و المبشرين ثم المستعمرين والتجار وفي أقوالهم مغالاة.
3. كتابات النصارى اليونان أو العرب ومنهم من عاش تحت الحكم العربي وتولى مناصب في الأندلس وغيرها منهم يوحنا الدمشقي ويحيي بن عدي وإسحاق الكندي واستحداث علم الكلام أو ما عرف بالمحاورة dialogue
4. كتابات القديس يوحنا الدمشقي الذي صب كل غضبه وحقده على الرسول وأتهمه باختلاق الوحي وهو الاتهام التقليدي لجميع كتابات العصور الوسطى ومن هنا تكونت فكرة الغرب عن الإسلام.

افتراءات المستشرقين على الإسلام والنبي صلى الله عليه وسلم والردود عليها

1- فهمهم للإسلام فهم مادي خالص فهم ينكرون الوحي والنبوة والمصدر الرباني للقرآن والرد بان مفاهيم الإلوهية والنبوة عندهم مختلطة والدليل تأليههم لعيسي.

2- يحاولون تعليل معجزة انتشار الإسلام السريع بعلل تبعد عن تأثيره على الشعوب التي حررها الإسلام من ظلم الرومان وغيرهم والرد على هؤلاء من أقوال المهاتما غاندي الذي يقر بأن الإسلام لم ينتشر بالسيف بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول وصدقه في الوعود وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه وهي الصفات التي مهدت الطريق وليس السيف ويقولون أن العرب كانوا امة ناهضة ولها حضارة فلما جاء الإسلام وجدها مستعدة للنهوض وهذا ليس واقع الأمر فلم تكن هناك حضارة عربية بل هي حضارة إسلامية وللرد على هذه الأقوال نورد رأي مايكل هارت في كتابه "مائة رجل من التاريخ"الذي يقول : أن محمدا وحد القبائل في شعب والشعوب في امة ووضع لها أساس حياتها ورسم أمور دنياها ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم, ورأي تولستوي: يكفي محمد فخرا انه خلص أمة ذليلة من مخالب الشيطان والعادات الذميمة وفتح لهم طريق الرقي والتقدم

3- الاهتمام بالجاهلية وحياة البداوة قبل الإسلام وكما عبر المستشرق "هاملتون جب" إن الجاهلية هي عصر البطولة وهدف من وراء ذلك إلى القول بأنها عصر القوة و أن الإسلام اقتبس منها كما يقولون بتأثره باليهودية والمسيحية في الجزيرة واقتباسه من كتبهم والرد بأن معجزة القرآن وسحر بيانه لامحل للجدال فيها وتأتي أمية الرسول الكريم معجزة أخرى لنا أن نفاخر بها وهو الذي اجري الله على لسانه هذا الكلام العربي المبين.

4- كذلك من أخطاء المستشرقين مايذهب إليه (هاملتون جب) في كتابه" بنية الفكر الديني في الإسلام" من إن الإسلام جاء ليضفي الصفة الدينية على الأعراف والخرافات والكهانة والتنجيم الذي عرف في البيئة العربية, كما إنه ينكر نبوة النبي وقوله هذا تحريف ومغالطة يبدوا فيه غلبة ألهوي والبعد عن قواعد البحث العلمي وتزيف للأدلة,وهو في ذلك, يضع فروض مقدمة ثم يبحث لها عن أدلة ومن ذلك انه يستشهد ببعض مواضع من كتب و يترك آخري دون تكملة المعلومة والكلام بهدف الوصول لدلائل منقوصة ومزورة تثبت أقواله, وقال أن محمداً لم يكن نبياً وأن تقديس الكعبة هو تقليد ليس إلا وأن القرآن تحريف وللرد على ادعاءات هذا المستشرق نورد في مقابل قوله أقوال لمستشرقين من جنسيته ودينه ما قالوه عن سيد البشر محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

وهاهو برنارد شو يقول أن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد هذا النبي الذي وضع دينه موضع الاحترام والإجلال وأنه يجب أن يسمى منقذ البشرية . ويقول المؤرخ و المستشرق الانجليزي" السير موير " إن من يمعن النظر في تاريخ محمد المجيد سيجد أن محمداً في طليعة الرسل ومفكري العالم .

كما ينكر(الجنرال جلوب) في كتابه" الفتوحات العربية الكبري" تفوق المسلمين في مجال الفنون العسكرية والتكتيكات الحربية رغم أن هذا يخالف كل أقوال المحللين العسكريين على مدار التاريخ الذين يقرون بالتفوق الإسلامي في هذا المجال فلم يعرف فن الحرب من فاق المسلمين حتى مجيء نابليون.

5- يحاول بعض المستشرقين إثارة شبهة أن الإسلام يدعوا للانصراف عن الدنيا والاهتمام بالآخرة وأن هذا سبب تخلف المسلمين ومن المستشرقين الذين رددوا هذا القول المستشرق"فون

جرونباوم" ويرد عليه "الدكتور إبراهيم محمد زرقانه"إن المسلمين كانوا سادة العالم وقادة العلم ولم يمنعهم الإسلام يوما عن التقدم والعمل و العطاء الحضاري وأن التخلف فرض على المسلمين وهو ليس من صفاتهم .

6- تعصب المستشرقين في معالجة مستقبل الإسلام فأعلن مرجليوث أن الإسلام لامستقبل له وكذلك المؤرخ السياسي (دبرا يس) القائل إن الإسلام لم يبق في عمره سوي قرنيين , والرد على هؤلاء بأن الإسلام يتسع نطاقه وظهرت دول إسلامية جديدة مثل باكستان وأندونيسيا والشيشان وكذلك احتك الإسلام بالحضارة الغربية الحديثة ولم يمت ولم يقض عليه التبشير المسيحي ولم يحول المسلمون عن إسلامهم بل هم في زيادة وتضاعف عددهم من11 ألف مسلم إلى مليار وثلاثمائة مليون مسلم واقتحم الإسلام أوربا وأمريكا و مازال أعداد كثيرة من الغربيين يعلنون إسلامهم والمراكز الإسلامية والمساجد في العالم اجمع تعلي كلمة الله واكبر.

يقول الفيلسوف فولتير أنه كان ضحية لأفكار خاطئة عن الإسلام ويتراجع عن اتهاماته وتحامله على الإسلام، ويقول «قد هدم محمد الضلال في العالم ولكن يوجد دائماً من يعملون على استبقاء الباطل وحماية الخطأ ويوجه كلامه للقساوسة الذين يفترون على الإسلام بكلام مكذوب فيقول إذا فرض عليكم قانون يحرم عليكم الطعام والشراب في شهر رمضان.وإذا فرض عليكم الحج في صحراء محرقة وإذا فرض عليكم إعطاء 2,5من مالكم للفقراء وإذا حرم عليكم شرب الخمر ولعب الميسر وإذا كنتم تتمتعون ب18 زوجة فجاء من يقللهم إلى 4 فقط هل يمكنكم بعد ذلك الادعاء بان هذه الشريعة شريعة للذة " ولا ننسي أن نضيف لكلام فولتير أن القساوسة في أوربا في العصور الوسطي عاشوا في حياة مترفة وشابهوا الأباطرة في السلطان والجاه والتمتع بحياة الثراء..

7- الافتراء على الإسلام أنه مأخوذ من كتب اليهود والنصارى:

شغلت سيرة النبي الكريم المستشرقين وربطوها بقصة الراهب بحيرى وهو راهب اريوسي أو الراهب جرجيس أو جريج وقد يمدحه البعض وأهانه آخرون واتهامهم للنبي بأنه حرف تعاليم هذا الراهب وانه أحط من دين الرومان كرها للبابا.

للرد على كل هذه الادعاءات يكفي أن نورد أن النبي الهاشمي عليه أفضل الصلاة والسلام حينما وجد ورقة من التوراة في يد الصحابي الجليل عمر بن الخطاب قال له ما حاجتكم بها لقد جئتكم بها بيضاء ناصعة . أما ما ورد حول (نسطوريوس)[26]الذي أدين بالزندقة في مجمع افسوس 431م[27] وحكم عليه بالنفي فاخترعوا له اسم وانه ذهب لشبه الجزيرة العربية،وهو منأخذ عنه الرسول العربي تعاليمه وهناك من ادعى أن معلم محمد هو يهودي مرتد عن اليهودية.

أما الرسالة المنسوبة إلى عبد المسيح بن إسحاق الكندي المجهول والتي ترجمها بطرس الطليطلي إلى اللاتينية بأمر من بطرس المحترم ضمن مجموعة دير كلوني للترجمة حتى يتعلم منها الرهبان أساليب مقارعة المسلمين, وهي رد على رسالة الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحاق يدعوه فيها للإسلام فيرد عليه عبد المسيح ويدعوه للنصرانية وطبعت الرسالة أكثر من مرة ونشرها وبها اتهامات للرسول وانتقاد للإسلام وخاصة لموضوع الجهاد .

فهناك العديد من الأقوال حولها وتحريف العديد من الألفاظ وان مؤرخها مجهول وربما إنها من وضع الرهبان أنفسهم .

8-أما القولبأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان فقيراً لا يجد ما يأكله ومات ومديون ليهودي وكان ينام على الحصير بل كان يدعو لترك الدنيا ويسبها.

الرد:أجمع العلماء على أن من قال بفقر الرسول جريمة في حق هذه الأمة تصل لدرجة الكفر والخروج من الملة وذلك أيضاً تكذيب لقوله تعالى: ﴿**وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى**﴾[28].

فقد بدأ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) برعي الغنم مما رواه ابن هشام في سيرته عن حادثة شق الصدر. قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «**فبينما أنا مع أخ لي خلف بيوتنا أتاني رجلان ...**».

وما رواه ابن إسحاق في رعايته الغنم في بني سعد مع أخيه من الرضاعة فقال: وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: ما من نبي إلا وقد رعي قيل، وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا. وبعد حادثة شق الصدر خافت عليه السيدة حليمة فردته إلى أمه في مكة، وهو ابن ست سنوات، حتى وصل من العمر اثنتا عشر سنة للذهاب مع عمه في التجارة.

والسؤال: ماذا كان يعمل النبي خلال هذه السنوات؟

الإجابة: حديث في صحيح البخاري: **«عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: ما بعث الله نبياً إلا رعي الغنم فقال أصحابه وأنت؟ فقال: نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»**[29].

ويفهم من هذا الحديث أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يرعى الغنم لجميع أهل مكة على قراريط أي على نسبة في الربح، وإن دل ذلك فإنما يدل على مهارته في هذه المهنة.

وعندما كون النبينصيباً معقولاً من المال أراد أن ينتقل إلى التجارة فذهب مع عمه أبي طالب إلى الشام للتجارة.أما الذي حدث في الشام فهو معجزة إدارة التجارة في سوق دمشق فكان رسول الله الرجل الوحيد الذي يبيع ويشتري كل يوم خلال ثلاثة أشهر، ورأي ذلك ميسرة فذكر ذلك لخديجة رضي الله عنها واشتهر رسول الله بالمهارة والصدق والأمانة فعرضت عليه أن يعمل لها في تجارته بنصف الربح.

والسؤال هنا: إذا كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يذهب للتجارة وليس لديه أي خبرة في هذا المجال فكيف بسيدة من سيدات الأعمال في مكة وابن هشام يقول عنها «كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة، ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم»[30].

- والدليل العلمي على أنه لم يكن بالفقير بل كان بارعاً في التجارة ما رواه مسلم في صحيحه: عندما أخبرها بنزول الوحي وقال لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم،وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق...

فهذه الصفات لا يستطيع أحد القيام بها إلا إذا كان من الأغنياء.

تشويه ترجمة القرآن :

وقد سبق الإشارة إلى أول ترجمة القرآن إلى اللغة اللاتينية وعن طريق بطرس المحترم واستعان باثنين من المترجمين وكلف أحد القساوسة الإنجليز بهذا العمل وتمت الترجمة عام 1143م وعلى أساس تلك الترجمة المحرفة اصدر بطرس مؤلف بعنوان هرطقات الإسلام,

واستمرت محاولات ترجمة القران , ففي عام 1694م أصدر القس هينكمان من هامبورج في ألمانيا الطبعة الأولى لترجمة القران إلى الألمانية فأيقظ اهتمام الغرب بالعرب والإسلام,ولكن معظم تلك الترجمات كانت بها أخطاء كبري منها إسقاط حروف وتحويل كلمة مسلمين إلى إسماعيلين أو سرسان فقد خان هؤلاء المترجمين الأمانة وحرفوا في الترجمة وأصدروا قرآن جديد مصنوع في الغرب, بينما ترجمة المسلمين للتوراة والإنجيل للغة العربية كانت دقيقة وتم تحري الدقة فيها.

وظهر تعصب الكنيسة ورهبانها أمثال بطرس المحترم الذي كتب كتاب بعنوان "مختصر في كل زندقة مذهب المسلمين الشيطاني الخبيث"، وهنا نطرح سؤال هام هل تكذيب كتاب القرون الوسطى للإسلام تم عن جهل أم تعمدوا ذلك؟

ظهرت كتب في الطعن والسب والتجريح مثل قصة زيد بن حارثة وزينب بنت جحش والأكاذيب الباطلة حتى أصدرالبابا يوحنا الثاني 1980م قانون بجواز زواج المطلقة وذلك في العصر الحديث ليثبت خطاء هؤلاء المدعين بتحريم زواج المطلقة وأخذها ذريعة للطعن في الإسلام.

التميز الديني والعرقي في الكنيسة اللاتينية ظهر من خلال حملة الصليبين ضد القسطنطينية 1204م وهم مسيحيين مثلهم وإن اختلفوا معهم في المذهب مما يضعنا أمام صورة واضحة للتعصب الأعمى, بسبب العداوة بين اليونان واللاتين والكنيسة الشرقية والغربية

نسب العرب لهاجر و أنهم ليسوا من نسب سارة الحرة مما يقلق من شأنهم في نظر هؤلاء المتعصبين.

كذلك كان يتم النبي وفقره في منطق العصور الوسطى الطبقي - الذي عرف في أوربا العصور الوسطى وأنكره الإسلام الذي لايعرف التميز العنصري ولا الاجتماعي – نقيصة ونقطة ضعف اتخذها المستشرقيين ضده وهو أمر يبين اختلاف الفكر بين الشرق والغرب في تلك الآونة فيتم النبي سبباً في شعوره بالأيتام وتشجيع للمجتمعات للاهتمام بهم، كما أن الرحمة والرقة في سلوكه صلى الله عليه وسلم تجاه اليتامى درس لكل إنسان .

بعض الكتب التي صححت الفكرة عن الإسلام:

إدوارد سعيد "الاستشراق" ونورمان دانيال"العرب في أوربا القرون الوسطى والإسلام والغرب"، كتاب ساوثرن "مفاهيم الغرب عن الإسلام في القرون الوسطى"، كتاب عبد اللطيف الطيباوي "المستشرقون الناطقون بالإنكليزية".

المرأة المسلمة في نظر المستشرقين:

زعم المستشرقون أن الإسلام هضم حقوق المرأة وجعلها متاع للرجل والحقيقة أن هذا فهم خاطئ مبني على العصبية وتقليد القوي واستحسان ما يستحسنه الغرب.

وضع المرأة قبل الإسلام في الحضارات القديمة لله

الإسلام عامل المرأة معاملة كريمة تختلف عما كان سائداً قبله, وما قاله سقراط عن المرأة كفيل بإيضاح وضع المرآة عند اليونانيين إذ قال إن المرأة اكبر مصدر للأزمة والانهيار وشبها بشجرة مسمومة ظاهرها جميل ولكن عندما تأكل منها العصافير تموت في الحال, والمرأة عند الرومان كانت تعتبر كائن لأروح له وكان يحرم عليها أكل اللحم أو الضحك وتعامل مثل الرقيق بل ومن حق الرجل إن ولدت له المرأة أنثي أو طفل مشوه أن يقتلها ولا ترث المرأة شيء من مال زوجها وفي الصين كانت الأسرة التي تنجب عدداً من البنات يفوق حاجتها تتركهن في الحقول ليقضي عليهم الصقيع أو تفترسهن الوحوش الضارية وكانت أقدام الفتيان توضع في أحذية حديدية وذلك لتجنب أن تكبر إقدامهن وهو ما يرمز لجمال المرآة عندهم وعند العرب كانت تؤد ,والمرأة عند الهنود كانت يجب إن تموت بمجرد موت زوجها وكانت تجبر على حرق نفسها إلى جوار جسد زوجها.

المرأة في الإسلام:

جعل الإسلام المرأة شريكة الرجل وساوي بينهم في أمور العبادة والصواب والعقاب,والمرأة في الإسلام أهل للثقة ومحل للاستشارة فهذا رسول الله في مناسبات عديدة ومسائل عظمي يشاور نساءه ويستشيرهن,كما وفر الإسلام للمرأة الأمان من الحاجة اوما يمكن التعبير عنه بالآمن الاقتصادي مما لم يسبق له مثيل وذلك حينما كفل لها النفقة سواء كانت أماً أو

بنتاً أو أختاً أو زوجة وذلك حتى تتفرغ لرسالتها الاسمي وهي خالية البال من هموم العيش والكدح من اجل الكسب والحصول على لقمة العيش .

أقوال المستشرقين عن المرأة المسلمة:

ومع ذلك نجد المستشرقين ينكرون كل هذا ونجد (اللورد كرومر) مثلاً في كتابه المعنون "مصر الحديثة" (والذي ترجمه إلى العربية عبد العزيز عرابي عام 1955)يقول إن الإسلام فشل كنظام اجتماعي و إن الرجل المسلم أكثر تمسكا بالإسلام من المرأة لأن وضعيته فيه أفضل من المرأة وللرد على هذا نقول إن الآيات القرآنية الكريمة كلها تحث على المساواة بين الرجل والمرأة قال الله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً**﴾صدق الله العظيم". (سورة النساء الآية 1)

فالمرأة مسئولة مسؤولية خاصة فيما يختص بالعبادة والدعوة للخير والأمر بالمعروف واحترم الإسلام رأي المرأة وذكر ذلك في القران مثال صورة المجادلة التي ذكرت قصة خوله بنت ثعلبة التي جاءت الرسول تشتكي أمر زوجها الذي يظاهرهاولم يسلب الإسلام حق المرأة في التعليم وأمرها أن تتعلم ما يمكنها من القيام بمسئوليتها.

ومنح الإسلام للمرأة إنسانيتها المساوية للرجل فساوي بينهم في القصاص والبر بالوالدين بل ميز المرأة أكثر في حسن صحبة الأم, كما لم يحرمها من حقوقها المدنية مثل التملك والتصرف فيما تملكه,وكذلك في اختيار الزوج وألا تتزوج دون رضاها.

قوامة الرجل:

أما فيما يخص قوامة الرجل التي يردد المستشرقون إنها دليل على تفوق الرجل وإنها إذلال للمرأة فأننا نوضح ذلك أن قوامة الرجل في الإسلام قوامة رحيمة قائمة على المودة والإرشاد دون الإجحاف بحقوقها وترك الأعباء المالية على الرجل .

ولا يمكن جعل عقدة الزواج او الطلاق بيد المرأة أو حتى بيد القاضي.

يقول الله تعالى: ﴿**وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ (البقرة: 237).

ففي هذه الآية عقدة النكاح والطلاق بيد الرجل سواء قلنا إنها بيد الزوج تبعًا لعلي بن أبي طالب وأبي حنيفة والشافعي أو قلنا: إنها بيد الولي تبعًا لابن عباس والحسن وعكرمة وشريح الكندي ، فإنها على كل حال ليست بيد المرأة بحال من الأحوال.

قوامة الرجل على المرأة، قال تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾ (النساء: 34)

فلابد للسفينة من ربان ولابد للأسرة من رئيس. وبما أن الرجل هو الذي عليه عبء القيام بمستلزمات الأسرة من توفير المسكن والغذاء واللباس وكل ما تحتاجه الزوجة والأولاد فإنه مناسب أن يكون هذا القائم قوامًا ورئيسًا.

ب- النفقة:

والنفقة تجب للزوجة على الزوج بقدر وسعة حاله غنية كانت أم فقيرة وتجب النفقة بالدخول أو الدعوة إليه.

قال تعالى: ﴿**أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلاَ تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولاَتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى * لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا**﴾

(سورة الطلاق: 6–7).

وقال تعالى: ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ (البقرة: 233).

والنفقة على الزوج لا تسقط سواء كانت الزوجة قادرة على كسب رزقها أو غير قادرة، وسواء كانت غنية أم فقيرة. لأن الأمر يتعلق بثابت وقاعدة في الصياغة الإسلامية للأسرة والتي تفرض وجود طرف مسئول عن النفقة في جميع الظروف والأحوال وهذا أمر طبيعي ما دامت النفقة أمرًا حيويًا لابد منه للزوجة وللأولاد.

ميراث المرأة:

إن القوانين الدولية تمنع التمييز بسبب الدين بين أصحاب الحقوق أيًا كانت ومن ضمنها حق الملكية، كما تمنع التمييز في هذا الحق بسبب الجنس, ومن مبادئ الإسلام المنافية لهذا الاتجاه مبدأ "للذكر مثل حظ الأنثيين" وهو حكم لازم لا سبيل إلى تغييره تولاه الله في محكم كتابه بلفظ صريح حتى لا يبقى مجال لأي احتمال أو شبهة. وجاء في عدة آيات:

قال تعالى: ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ**﴾ (النساء: 11).

جعل الإسلام نصيب الرجل في الإرث ضعف نصيب المرأةوالرد على من لم يفهم هذا الأمر على حقيقته نقول إن نظام الإرث في الإسلام نظام مثالي فهو إذ يقرر للمرأة نصف نصيب الرجل فانه قد حقق العدالة الاجتماعية بينهما لأن الرجل ملزم بدفع مهر لزوجته وبالإنفاق عليها,وكسوتها وتوفير جميع ما تحتاج إليه حتى أوجب الخادمة واوجب عليه نفقة العدة إذ ما طلق زوجته كما أنه مطالب بالإنفاق على نفسه وعلي أسرته والديه وأقاربه إذ كانوا فقراء أوفي حاجة للمساعدة فالرجل مطالب بكل شيء.

ولدينا شهادة المستشرق "جوستاف لوبون " في كتابه "حضارة العرب" إذ قال أن القرآن منح المرأة حقوقا في الإرث أحسن مما في القوانين الأوربية.

الشهادة:

جعل الإسلام شهادة رجل وامرأتين أي عادل الرجل بامرأتين وذلك لقوله تعالي ﴿**فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ**﴾ (سورة البقرة آية: 282).

وذلك لقوة العاطفة عند المرأة وربما تنسي فتذكر أحداهما الأخرى وهذا في أمر البينة ويقول بن الجوزي أن البينة في الشرع أهم من الشهادة.

بمعني أن هذا ليس في مقام الشهادة التي يقضي بها أمام القاضي ويحكم بها وإنما هووا رد في مقام الإرشاد والي طريق الاستوثاق والاطمئنان على الحقوق بين المتعاملين وقت التعامل فالمقام مقام استيثاق الحقوق لامقام قضائي وليس معني ذلك أن شهادة النساء بدون رجل لايثبت بها الحق ولا يحكم بها القاضي ولكن البينة هي أقصي ما يطلبه القاضي.

مستشرقة ألمانية "زيغر هونكه" صاحبة كتاب "شمس العرب تسطع على الغرب" تقول في كتابها أن النساء في صدر الإسلام لم يكن مقيدات أو مظلومات لكن هذا لم يدم بسبب الرياح التي هبت على القصور العباسية من الشمال مع قدوم الجاريات الفارسيات واليونانيات فحرمت المرأة العربية من مكانتها الرفيعة وقيدت حريتها وسيطرت على المجتمع العربي العادات الفارسية القديمة والإسلام بريء منها .

الشبهات التي أثارها المستشرقون حول تعدد الزوجات

وردود علماء المسلمين عليهم:

لم يبتكر الإسلام نظام التعدد .. فالثابت تاريخياً أن تعدد الزوجات ظاهرة عرفتها البشرية منذ أقدم العصور .. كانت الظاهرة منتشرة بين الفراعنة .. وأشهر الفراعنة على الإطلاق وهو رمسيس الثاني، كن له ثماني زوجات وعشرات المحيطات والجواري، وأنجب أكثر من مائة وخمسين ولداً وبنتاً .. وأسماء زوجاته ومحظياتة وأولاده منقوش على جدران المعابد حتى اليوم[31].

وأشهر زوجات رمسيس الثاني هي الملكة الجميلة نفرتاري .. وتليها في المكانة والترتيب الملكة "أيسه نفر" أو "غيزيس نفر" وهي والدة ابنه الملك "مرنبتاح" الذي تولى الحكم بعد وفاة أبيه وإخوته الأكبر سناً.

ويروى أن فرعون موسي كانت له عدة زوجات منهن السيدة "آسيا" عليها السلام، وكانت ابنة عمه، ولم تنجب أولاداً منه، ولهذا احتضنت سيدنا موسى –على نبينا وعليه الصلاة والسلام– وقالت لفرعون عن الرضيع موسى الذي التقطته الخادمات من صندوق عائم في مياه نهر النيل: ﴿**قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لاَ تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا**﴾[32].

وكان تعدد الزوجات معروفاً في عهد أبي الأنبياء خليل الرحمن إبراهيم –صلى الله على نبينا وعليه وسلم– وأنجبت له السيدة هاجر الذبيح "إسماعيل" جد العرب عليه السلام، بينما رزقه الله من "سارة" بسيدنا "إسحاق" عليه السلام.

وجمع نبي الله يعقوب بين أختين –ابنتي خاله لابان– هما "ليا" و"راحيل" وجاريتين لهما، فكانت له أربع حلائل في وقت واحد ..

وأنجب عليه السلام منهما الأسباط (أحد عشر ولدا) بالإضافة إلى سيدنا يوسف –عليه السلام– وأمه هي "راحيل" التي كانت أحب حليلات النبي يعقوب إلى قلبه، وأنجبت له "بنيامين" بعد يوسف –عليه السلام–

وكانت لسيدنا داود –عليه السلام– عدة زوجات والعديد من الجواري .. وكذلك كانت لابنه سلميان زوجات وجواري عديدات.

وكان تعدد الزوجات منتشراً في جزيرة العرب قبل الإسلام أيضاً.

روى الإمام البخاري –رضي الله عنه– بإسناده أن غيلان الثقفي اسلم وتحته عشر نسوة، فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم): **«اختر منهن أربعا»**.

وروى أبو داود –رضي الله عنه– بإسناده أن عميرة الأسدي قال: أسلمت وعندي ثماني نسوة، فذكرت ذلك للنبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: «**اختر منهن أربعا**».

وقال الإمام الشافعي –رضي الله عنه– في مسنده: أخبرني من سمع ابن أبي الزياد يقول أخبرني عبد المجيد عن ابن سهل عن عبد الرحمن عن عوف بن الحارث عن نوفل بن معاوية الديملي قال: أسلمت وعندي خمس نسوة، فقال لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم): **«اختر أربعاً أيتهن شئت، وفارق الأخرى»**.

وروى البخاري في كتاب النكاح أن النبي (صلى الله عليه وسلم) آخى بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن عوف الأنصاري، وعند الأنصاري امرأتان، فعرض عليه أن يناصفه زوجتيه وماله، فقال له عبد الرحمن بن عوف: «بارك الله لك في أهلك ومالك .. دلني على السوق..»[33].

ومع ذلك كان تعدد الزوجات ولا يزال أكثر المواضيع تعرضاً لهجمات المستشرقين. وفيما يلي بعض الشبه التي يثيرها أعداء الإسلام نحو نظام تعدد الزوجات وسنذكرها ونقوم بالرد عليها إن شاء الله رداً مقنعاً، وهي ولله الحمد شبه وليس حقائق كما سنرى. وهذه هي الشبه[34]:

1- إباحة الدين الإسلامي للرجل أن يعدد زوجاته وتحريم ذلك على المرأة

2- يكون الزواج بأكثر من امرأة سبباً في إثارة الخصام والنزاع بين أفراد الأسرة الواحدة، الأمر الذي يؤدي إلى تفكك الأسرة، وتشرد الأطفال. وبمعنى آخر يكون التعدد سبباً للعداوة بين زوجات الرجل الواحد وتنتقل العداوة بالتالي إلى أولادهن.

3- إن في تعدد الزوجات ظلماً وهضماً لحقوقها وإهداراً لكرامتها ووسيلة لتسلط الرجل عليها من أجل إشباع شهواته.

4- يؤدي تعدد الزوجات إلى إهمال تربية النشء وتشردهم.

5- يكون تعدد الزوجات سبباً رئيساً في كثرة النسل، وكثرة النسل يؤدي إلى انتشار الفقر والبطالة في البلاد.

6- الظروف الاقتصادية في العصر الحديث لا تسمح للرجل بأن يعدد زوجاته لأنه هذا التعدد يفرض عليه أعباء مالية فهو سيطالب بالإنفاق على عدد من الزوجات والأولاد في الوقت الذي ازدادت فيه مطالب كل فرد وقلت الموارد المالية.

وفيما يتعلق بشبهة[35]أن الإسلام أباح للرجل أن يعدد زوجاته وحرم ذلك على المرأة فنقول: إن المساواة بين الرجل والمرأة في نظام الزواج لا ينبغي أن تكون مساواة مطلقة لاختلاف طبيعة كل من الرجل والمرأة، والمساواة بين مختلفين تعني ظلم أحدهما، فالمرأة خلق الله تعالى لها رحماً واحدة، وهي تحمل في وقت واحد ومرة واحدة في السنة ويكون لها تبعاً لذلك مولود واحد من رجل واحد. أما الرجل فغير ذلك، من الممكن أن يكون له عدة أولاد من عدة زوجات، ينتسبون إليه، ويتحمل مسئولية تربيتهم والإنفاق عليهم، وتعليمهم وعلاجهم وكل ما يتعلقبهم وبأمهاتهم من أمور. أما المرأة فعندما تتزوج بثلاثة أو أربعة رجال، فمن من هؤلاء الرجال يتحمل مسئولية الحياة الزوجية؟ أيتحملها الزوج الأول؟ أو الزوج الثاني؟ أم يتحملها الأزواج الثلاثة أو الأربعة؟ ثم من ينتسب أولاد هذه المرأة متعددة الأزواج؟ أينتسبون لواحد من الأزواج؟ أم ينتسبون لهم جميعاً؟ أم تختار الزوجة أحد أزواجها فتلحق أولادها به؟

أما بالنسبة للشبهة الثانية[36]نقول إن هذا النزاع يرجع إلى الغيرة الطبيعية التي لا يمك أن تتخلص منها النفوس البشرية، فالغيرة موجودة في كل مكان تتساوى فيه الفرص للأفراد، وهكذا تظهر الغيرة بين النساء في ظل نظام تعدد الزوجات والغيرة والحزن اللذين تحس بهما المرأة حين

يتزوج زوجها بأخرى شيء عاطفي، والعاطفة لا يصح أن تقدم في أي أمر من الأمور على الشرع. والضرر الذي يلحق بالمرأة نتيجة للتعدد أخف بكثير من الأضرار التي تلحق بها في حالة بقائها بدون زوج.

ويلاحظ أن الغيرة بين الزوجات لم تمنع الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولم تمنع أصحابه من الأخذ بنظام تعدد الزوجات.

الشبهة الثالثة: إن في نظام تعدد الزوجات هضماً لحقوق المرأة، وإهداراً لكرامتها، وهذا كلام غير صحيح ألبتة، فتعدد الزوجات رحمة للنساء، وذلك لأن عدد الرجال الصالحين للزواج أقل بكثير من عدد النساء الصالحات للزواج كما مر بنا في ثنايا هذا البحث، ووجود المرأة كزوجة ثانية أو ثالثة أو حتى رابعة في أسرة خير لها من أن تكون بدون زواج.

ويقول أحد المفكرين الغربيين المنصفين عن هذا الموضوع: «إن نظام الزواج بامرأة واحدة فقط وتطبيقه تطبيقاً صارماً قائم على أساس افتراض أن عدد أعضاء الجنسين متساوياً، ومادامت الحالة ليست كذلك، فإن في بقائه قسوة بالغة لأولئك اللاتي تضطرهن الظروف إلى البقاء عانسات».

والطريف أن بعض الدول الغربية التي تعاني من المشكلة المزعجة، وهي زيادة عدد النساء فيها على عدد الرجال، اضطرت إلى الإقرار بمبدأ تعدد الزوجات، لأنه الحل الوحيد أمامها لتفادي وقوع انفجار اجتماعي لا قبل لها بمواجهته، أو علاج آثاره المدمرة .. حدث هذا في ذات الوقت الذي يرفع فيه بعض المسلمين –اسماً فقط– راية الحرب على تعدد الزوجات وشرعيته!!

الشبهة الرابعة[37]: التي تقول أن التعدد يكون سبباً رئيسياً لإهمال النشء، ونقول: إن الإهمال لا ينجم عن التعدد وحده بل إن له أسباباً كثيرة منها عدم مبالاة الأب بتربية أولاده أو انحرافه عن جادة الصواب بشرب الخمر أو تعاطي المخدرات أو لعب القمار أو مصاحبة رفقاء السوء وغير ذلك. وقد يكون الإهمال نتيجة لاختلاف وقع بين الزوجين حول أمر من الأمور المتعلقة بشئون الأسرة.

كما أن فقد الأطفال لمن يعولهم ويتعهدهم بالرعاية والتوجيه يعد سبباً من الأسباب التي تحول دون تربيتهم تربية سليمة.

الشبهة الخامسة: أن تعدد الزوجات يؤدي إلى كثرة النسل، وكثرة النسل تؤدي إلى البطالة والفقر، وهذا بطبيعة الحال منطق غير سليم ومرفوض فكثرة النسل مع حسن التربية من أعظم عوامل قوة الأمة وازدهار حياتها وأوضح الأمثلة على ذلك اليابان والصين. والبطالة والفقر وموجودان –كما نعلم– في بعض البلاد العربية والأفريقية وأستراليا مع أن أرضها واسعة، ومواردها كثيرة، ولو أحسن أهلها استغلالها لزال الفقر واختفت البطالة، واستوعبت تلك البلاد أضعاف من يعيشون فيها.

الشبهة السادسة[38]: وهي أن الظروف الاقتصادية في العصر الحديث لا تسمح للرجل بأن يعدد زوجاته لأن هذا التعدد يفرض عليه أعباءً مالية، فهو سيكون مطالباً بالإنفاق على عدد الزوجات والأولاد، في الوقت الذي ازدادت فيه مطالب كل فرد، وقلت في الوقت نفسه الموارد المالية.

وأقول هنا: إن قضية تعدد الزوجات قضية اجتماعية ودينية وليست قضية اقتصادية، وأن المشكلات الاقتصادية التي تتعرض لها الأسرة عند تعدد الزوجات أهون بكثير من المشكلات الاجتماعية التي تتعرض لها الأسرة عندما يكون بها عانس أو مطلقة أو أرملة، والأرزاق بيد الله تعالى، والإنسان لا يضمن رزقه في ظل نظام الزوجة الواحدة، حتى يشكو منه في ظل تعدد الزوجات.

obeikandl.com

obeikandl.com